مما حمله ويشكره على ما عصمه لا يهدأ فكره ولا تسكن خواطره
ولا يصغوا قلبه ولا يستقر لبه الخلق في شغل عنه وهو
مشغول بهم والرجل يخاف عدوًا واحدًا وهو يخاف
ألف عدو والرجل يضيق بتدبير أمر بيته وإيالة ضيعته
وتقدير معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع مملكته وكلما
رتق فتقًا من حواشي مملكته انفتق آخر وكلما رقع منها شعثًا
حدث آخر وكلما قمع عدوًا أرصد له أعدا إلى سائر ما يعانيه
من أخلاق الناس ويقاسيه من خصوماتهم ونصب الولاة
والقضاة وبعث الجيوش وسد الثغور واستجباء الأموال
ودفع المظالم ثم من العجب العجاب أن له نفسًا واحدة وإنما
يرزأ من الدنيا قوتها مثل ما يرزأ آحاد الرعايا ثم يسئل
غدًا عن جميعهم ولا يسئلون عنه فيا لله العجب من رجل
رضي أن ينال رغيفًا ويحاسب منها على الآف الآف
ويأكل في معاء واحد ويحاسب الآف الآف من الأنفس
وعلى هذا النمط في جميع أحواله يحمل أثقالهم ويزيح أسرارهم
ويجاهد عدوهم ويسد ثغورهم ويدافع مناويهم ومناصبهم
ويعصي ربه فيهم ويخالف أمره ويركب نهيه من أجلهم ونفعهم

جرائم

جراثيم جهنم على بصيرة فيهم ثم تجدهم له قالين وعنه
غير راضين ولولا أن الله يحول بين المرء وقلبه لم يرض
عاقل بهذه المنزلة ولا اختارها لبيب مرتبة وكلما
ذكرته في هذا الباب أحكمه النبي صلى الله عليه وسلم في كلمة
واحدة فقال ما لكم وللأمراء لكم صفو أمرهم وعليكم كدره
وكان بعض سلاطين المغرب يسير يومًا وبين
يديه الوزعة إذ نظر إلى جماعة من التجار فقال لوزيره
أتريد أن أريك ثلاث طوائف طائفة لهم الدنيا والآخرة
وطائفة لا دنيا ولا آخرة وطائفة دنيا بلا آخرة قال
وكيف ذلك أيها الملك فقال أما الذين لهم الدنيا والآخرة
فهؤلاء التجار يكسبون أقواتهم ويصلون فروضهم ولا يؤذون
أحدًا وأما الذين لا دنيا ولا آخرة فهؤلاء الشرط والخدمة
الذين بين أيدينا وأما الذين لهم الدنيا بلا آخرة فأنا وأنت
وسائر السلاطين فحق على جميع الورى أن يمدوا السلطان
بالمناصحات ويخصوه بالدعوات ويعينوه في سائر المحاولات
ويكونوا له عينًا ناظرة ويدًا باطشة وجنة واقية وألسنًا
ناطقة وقوادم شهصنة وقوائم تقله وهيهات منه
السلامة وأنى له السلامة **قال** بعض السلاطين يومًا